الاشعري
والاشعرية والاعتزال

احمد جابر جاسم

الاشعري والاشعرية والاعتزال

احمد جابر جاسم

المقدمة

يأخذ البحث (الاشعري والاشعرية والاعتزال) اهميته من أن ابا الحسن الاشعري هو المؤسس الاول لمذهب الاشعرية، مما يستوجب إيلاء اهمية خاصة له ولمذهبه، والبحث عن الكيفية التي مكنته من انشاء المذهب، فهل توصل اليه بالروايات والأدلة النقلية؟ أو اهتدى اليه بالرؤيا او المنامات؟ أو بالأدلة العقلية؟ اضافة الى ما يقال مِن أن ابا الحسن الاشعري كان معتزلياً، وانه بقي ملازماً لأهل الاعتزال اربعين سنة، وكان لدى المعتزلة إماماً ثم انسلخ عنهم، فكان يجب أن نورد المصادر التي ذكرت ذلك واتجاهاتها واغراضها لذا فقد استعنّا –لتغطية الموضوع– بكتاب (مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) وهو من تأليف ابي الحسن الاشعري نفسه، كما اطلعنا على كتاب (تبيين كذب المفتري فيما نسب الى ابي الحسن الاشعري) لإبن عساكر الذي افاض في كلا المجالين، وتناولنا ما جاء في (طبقات الشافعية الكبرى) لِتاج الدين السبكي وغيرها من المصادر التي تناولت التراجم والسير التي تلقي ضوء على ذلك، ومراجع مثل (مذاهب الاسلاميين) لعبد الرحمن بدوي، و (اصول النقد والتحليل في العمل الكتابي) لمرتضى النقيب، ورسالة ماجستير غير منشورة عن تطور الاشعرية في خراسان لنور البياتي وغيرها.

التي تلقي ضوءً على ذلك، كما تناولنا مراجع حديثة مثل (مذاهب الاسلامين) لعبد الرحمن بدوي، ومرتضى حسن النقيب في كتابه (اصول النقد والتحليل في العمل الكتابي)، ورسالة ماجستير هي (تطور المذهب الاشعري في خرسان) لنور سعد محسن البياتي.

وقسم البحث تجوزاً الى فصلين تناول الفصل الاول اسمه ونسبه وشيوخه وتلامذته ومكانته العلمية ومصنفاته ومولده ووفاته.

اما الفصل الثاني فتناول جملة مناماته ورؤياه ومناظراته والرد من مؤرخ معاصر ومن الباحث.

الفصل الاول

الاشعري حياته ومكانته العلمية ووفاته

اسمه ونسبه

هو ابو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري[١].

"وذكر الامام ابو بكر بن فورك[٢] ان أباه هو ابو بشر اسماعيل بن اسحاق وانه كان سنياً جماعياً حديثياً اوصى عند وفاته الى زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله وهو امام في الفقه والحديث وله كتب منها كتاب اختلاف الفقهاء وكان يذهب مذهب الشافعي وقد روى عنه الشيخ ابو الحسن الاشعري في كتاب التفسير احاديث كثيرة يعني الساجي"[٣].

وأختِلف هل الكنية بـ(ابي بشر) هي لأبيه اسماعيل او لجده اسحاق؟، فإبن فورك يقول: انها كنية ابيه، وابن عساكر والسبكي يقولان انها كنية جده.

وقد طعن في هذا النسب ابو علي الاهوازي: فإنه زعم ان الاشعري (غير صحيح النسب) ويرد إبن عساكر على ذلك فيقول: "وفي نسبة اصحابه إياه الى ابي بشر– تكذيب لأبي علي الاهوازي فيما اختلف، فإنه زعم انه غير صحيح النسب، وانه ما كنى عن اسم ابيه إلا لهذا السبب"[٤].

شيوخه

درس ابو الحسن الاشعري على يد العديد من الشيوخ مثل الامام ابي اسحاق المروزي[٥] استاذ الاشعري في الفقه، كما درس الخلاف على يد محدث البصرة زكريا الساجي[٦] وابي خليفة الجمحي[٧] وغيرهم، وقام برواية الحديث عنهم.

تلاميذه

ابو الحسن الباهلي[٨] بندار خادم الشيخ الاشعري[٩] ابو الحسن الطبري[١٠] ابو بكر الباقلاني[١١].

مكانته العلمية

تأتي مكانة ابو الحسن الشعري بين رجال المذاهب انه كان معتزلياً كما يدعون "وكان قد اخذ عن ابي علي الجبائي وتبعه في الاعتزال"[١٢]. وهناك روايات متعددة عن اعلان ابي الحسن الاشعري رفضه الاعتزال، وقد ذكر مؤرخ معاصر "والروايات المتعلقة بهذا الاعلان كثيرة متنوعة مسرحية احياناً"[١٣]، وأقدم الروايات هي قال: "وكان (اي الاشعري) اولاً معتزلياً، ثم تاب عن القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة: رقى كرسياً ونادى بإعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا

اعرفه نفسي: انا فلان بن فلان. كنت قلت بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن افعال الشر أنا افعلها. وانا تائب مقلع"(١٤).

ولم يذكر ابن عساكر هذه الرواية، ويقول المؤرخ المعاصر نفسه "يتلو ذلك روايات ذكرها ابن عساكر، ويجري فيها ذكر منامات رأى فيها النبي الذي دعاه الى إتباع سنته. وهذا يؤذن بأن هذه الروايات موضوعة، لأنها تأخذ موقفاً معيناً"(١٥). وروايات ابن عساكر هي:

أ- ما روي عن احمد بن الحسين المتكلم قال: "سمعت بعض اصحابنا يقول: إن الشيخ ابا الحسن- رحمه الله- لما تبحر في كلام الاعتزال، وبلغ غايته، كان يورد الاسئلة على اساتذته في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً: فتحير في ذلك، فحكي عنه أنه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد. فقمت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى ان يهديني الطريق المستقيم، ونمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه بعض ما بي من الأمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك بسنتي. فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فاثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً"(١٦).

ب- ورواية ثانية ذكرها حجاج بن محمد الطرابلسي من اهل طرابلس الغرب، قال: "سألت ابا بكر اسماعيل بن ابي محمد بن اسحاق الأزدي القيرواني، المعروف بإبي عزرة، رحمه الله عن ابي الحسن الاشعري رحمه الله فقلت له: قيل لي عنه انه كان معتزلياً، وإنه لما رجع عن ذلك ابقى للمعتزلة نكتاً لم ينقضها، فقال لي: الاشعري

شيخنا وإمامنا ومَن عليه معولنا، اقام على مذهب المعتزلة اربعين سنة، وكان لهم اماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، وبعد ذلك خرج الى الجامع، فصعد المنبر وقال: معشر الناس: اني انما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق. فاستهديت الله تبارك وتعالى، فهداني الى اعتقاد ما اودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت اعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب الى الناس فمنها كتاب (اللمع) وكتاب اظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب (كشف الاسرار وهتك الاستار) وغيرهما فلما قرأ تلك الكتب اهل الحديث والفقه من اهل السنة والجماعة اخذوا بما فيها وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماماً حتى نسب مذهبهم اليه"[١٧]. "قال لي ابو بكر فصار عند المعتزلة ككتابي اسلم واظهر عوار ما تركه فهو اعدى الخلق الى اهل الذمة وكذلك الاشعري اعدى الخلق الى المعتزلة فهم يشنعون عليه من الاشانيع وينسبون اليه الاباطيل"[١٨].

ج- ورواية ثالثة تنتهي الى ابي عبد الله الحمراني، يقول فيها: "لم نشعر يوم واذا بالأشعري قد طلع على منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعة ومعه شريط شده في وسطه ثم قطعه وقال: اشهدوا علي اني كنت على غير دين الاسلام وإني قد اسلمت الساعة واني تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال ثم نزل. الحمراني مجهول"[١٩] كان هذا تعليق ابن عساكر على الراوي، ويقول المؤرخ المعاصر نفسه في نقده

لهذه الرواية "ولعل هذه الرواية اظهر الروايات تكلفاً وزيفاً، لأنها فضلاً عن انفعالها انما تقرر ان الاعتزال كفر وان المعتزلي كافر، ومن غير المعقول ان يكون الاشعري قد قال مثل هذا الكلام واصدر هذا الحكم بهذه الحدة"(٢٠).

د- وتوجد رواية رابعة تنسب الى الامام ابي عبد الله الحسين بن محمد اذ يقول: "سمعت غير واحد من ائمتنا يحكي كيف كان بدء رجوع الإمام المبرأ من الزيغ والتضليل ابي الحسن علي بن اسماعيل انه قال: بينا انا نائم في العشر الاول من شهر رمضان رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: يا علي انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق فلما استيقظت دخل علي امر عظيم ولم ازل مفكراً مهموماً لرؤياي ولما أنا عليه من ايضاح الأدلة في خلاف ذلك حتى كان العشر الاوسط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي ما فعلت فيما أمرتك به فقلت: يا رسول الله وما عسى أن افعل وقد خرجّت للمذاهب المروية عنك وجوهاً يحتملها الكلام واتبعت الادلة الصحيحة التي يجوز اطلاقها على الباري عز وجل فقال لي انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق فإستيقظت وانا شديد الأسف والحزن فأجمعت على ترك الكلام واتبعت الحديث وتلاوة القرآن فلما كانت ليلة سبع وعشرين وفي عادتنا بالبصرة ان يجتمع القراء واهل العلم والفضل فيختمون القرآن"(٢١). "في تلك الليلة مكثت فيهم على ماجرت عادتنا فأخذني من النعاس مالم اتمالك معه أن قمت فلما وصلت الى البيت نمت وبي من الاسف على ما فاتني من ختم تلك الليلة امر عظيم

فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: ما صنعت فيما امرتك به فقلت: قد تركت الكلام ولزمت كتاب الله وسنتك فقال لي: انا امرتك بترك الكلام؟ انما امرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنها الحق، فقلت: يا رسول الله كيف ادع مذهباً تصورت مسائله وعرفت ادلته منذ ثلاثين سنة لرؤيا فقال لي: لولا اني اعلم ان الله تعالى يمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى ابين لك وجوهها، وكأنك تعد إتياني اليك هذا رؤيا أو رؤياي جبريل رؤيا انك لا تراني في هذا المعنى بعدها فجد فيه فإن الله سيمدك بمدد من عنده، قال: فإستيقظت وقلت ما بعد الحق إلا الضلال، واخذت في نصرة الاحاديث في الرؤية والشفاعة والنظر، وغير ذلك فكان يأتيني شيء والله ما سمعت من خصم قط ولا رأيته في كتاب فعلمت ان ذلك من مدد الله تعالى الذي بشرني به رسول صلى الله عليه وسلم"(٢٢).

هـ- وفي رواية خامسة عن ابي الحسن بن مهدي بطبرستان، قال: "حكى لنا الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه قال: كان الداعي الى رجوعي عن الاعتزال والى النظر في ادلتهم واستخراج فسادهم اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي في اول شهر رمضان فقال لي: يا أبا الحسن كتبت الحديث فقلت: بلى يا رسول الله فقال لي صلى الله عليه وسلم، فقال أو ما كتبت ان الله تعالى يرى في الأخرة فقلت: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما الذي يمنعك من القول به قلت: ادلة العقول منعتني فتأولت الأخبار فقال لي او ما قامت ادلة العقول عندك على ان الله تعالى يرى في الأخرة فقلت بلى يا رسول فإنما هي

شُبَهٌ فقال لي تأملها وانظر فيها نظراً مستوفى فليست بشبه بل هي ادلة وغابِ عني الله صلى الله عليه وسلم واستثبت فوجدت الأمر كما قال فقويت ادلة الاثبات في قلبي وضعفت ادلة النفي، فسكت ولم اظهر للناس شيئاً وكنت متحيراً في امري فلما دخلنا في العشر الثاني من رمضان رأيته صلى الله عليه وسلم قد اقبل فقال: يا أبا الحسن اي شيء عملت فيما قلت لك فقلت يا رسول الله الامر كما قلتَ"[٢٣].

"صلى الله عليك، والقوة في جانب الاثبات، فقال لي: تأمل سائر المسائل وتذكر فيها فانتبهتُ فقمت وجمعت ما كان بين يدي من الكتب الكلاميات وصبرتها ورفعتها واشتغلت بكتب الحديث وتفسير القرآن والعلوم الشرعية ومع هذا فإني كنت اتفكر في سائر المسائل لأمره صلى الله عليه وسلم إياي بذلك قال: فلما دخلنا العُشر الثالث رأيته ليلة القدر فقال لي وهو كالحردان ما عملت فيما قلت لك فقلت: يا رسول الله انا متفكر فيما قلت ولا أدع التفكر والبحث عليها إلا اني قد رفضت \الكلام كله وأعرضت عنه واشتغلت بعلوم الشريعة فقال لي مغضباً ومن الذي امرك بذلك صنف وانظر هذه الطريقة التي امرتك بها فإنها ديني وهو الحق الذي جئت به وانتبهت قال لي ابو الحسن: فأخذت في التصانيف والنصرة واظهرت المذهب فهذا سبب رجوعه عن مذاهب المعتزلة الى مذاهب اهل السنة والجماعة رحمة الله عليه ورضوانه"[٢٤].

مصنفاته

ذكر ابن عساكر اولاً مصنفات ابي الحسن الاشعري كما دونها مقدم الاشاعرة في خراسان الامام ابن فورك[٢٥]، وهي المصنفات التي تقف عند سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) ولغاية سنة (٣٢٣هـ/٩٣٤م) وهي بمجملها تزيد على التسعين مصنفاً[٢٦]، اما تاج الدين السبكي مؤرخ الشافعية- الاشعرية فيذكر له واحداً وعشرين مصنفاً[٢٧].

"ويلاحظ ان كل الكتب التي اوردها ابن عساكر تقتصر على الفترة التي اعقبت تحوله عن مذهب الاعتزال، ولا تشمل المصنفات التي الفها قبل ذلك"[٢٨].

وَرَدُّنا لماذا لم يؤلف ابو الحسن الاشعري اي مصنف خلال اربعين سنة قضاها في الاعتزال وكان فيها اماماً للمعتزلة كما يدعي ابن عساكر، وهذا ما يدحض ادعائه.

وقد ذكر ابن عساكر بعد ذلك عن ابي المعالي بن عبد املك القاضي انه سمع من يثق به يذكر أنه رأى تراجم مصنفاته تزيد على مائتين وثلثمائة مصنف، عد إن عساكر من مصنفاته مما ذكره الشيخ في كتابه[٢٩]:

"العمد في الرؤية" وغيره.
"الفصول في الرد على الملحدين".
"الموجز".
"إمامة الصديق".
"خلق الاعمال".
"الإستطاعة".

"الرؤية".
"الأسماء والاحكام".
"الرد على المجسمة".
"الإيضاح".
"اللمع الصغير".
"اللمع الكبير".
"الشرح والتفصيل".
"المقدمة".
"النقض على الجبائي".
"النقض على البلخي".
"مقالات المسلمين".
"مقالات الملحدين".
"الجوابات في الصفات" على الاعتزال، قال: ثم نقضناه وأبطلناه.
"الرد على الراوندي".

ولادته ووفاته

لقد أخَتلِف في ولادة ابي الحسن الاشعري فقد قيل انه ولد سنة ستين ومائتين[٣٠]، وقيل سنة سبعين ومائتين[٣١]، "وتجمع المصادر على انه ولد في البصرة"[٣٢].

كما اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته، فمنهم مَن قال: "إنه توفي سنة (٣٢٤هـ/٩٣٤م)، وهي رواية ابن فورك التي تبناها ابن عساكر، ورجحها مونتغمري وات"[٣٣] إلا أن الخطيب البغدادي ذكر وفاته "سنة نيف وثلاثين

وثلثمائة وانه دفن في مشرعة الروايا في تربة الى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام"[٣٤] وقال ابن الجوزي "ان وفاته كانت سنة (٣٣١هـ٩٤٢م) ودفن ببغداد"[٣٥].

الفصل الثاني

جملة مناماته ورأي المؤرخ المعاصر والباحث

رأي المؤرخ المعاصر

يقول المؤرخ المعاصر "ويلاحظ على هذه الروايات انها تستهدف:

١- الدفاع عن علم الكلام، وانه لا يتنافى مع السنة، مما يؤذن بأن اصحابها اشاعرة.

٢- الدفاع عن مذهب الاشعري، بوصفه مطابقاً لسنة النبي.

٣- بعضها يرمي الى الطعن في مذهب المعتزلة ودمغه بالكفر.

واذا كان اللجوء الى الرؤى التي فيها يشاهد النبي يأمر بكذا وكذا- امراً شائعاً لدى الفقهاء بل وبعض المتكلمين، فإن الرواية المذكورة في مجموعها تتنافى مع واقع الحال من ضرورة التطور الذهني بحيث تبدأ الشكوك وتتزايد حتى تؤدي الى التحول واعلان القطيعة مع ما سار عليه الامر حتى ذلك الوقت وهذا لا يتفق مع هذه الرؤى التي تكاد أن تكون تعبيراً عن تحولات مفاجئة، ولعل اقربها للتصديق رواية عن احمد بن الحسين المتكلم، ومفادها ان الاشعري "لما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ غايته كان يورد الاسئلة على استاذيه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً، فتحير في ذلك لأنها تصف ما يعقل وقوعه للاشعري، ولا بد أن هذه الاسئلة التي اوردها على استاذيه في

الدرس هي التي ورد بعضها في المناظرات التي تزعم المصادر وقوعها بين الاشعري واستاذه ابي علي الجبائي"[٣٦].

رأي الباحث

في النص الذي ورد في كتاب (الفهرست) "ثم تاب عن القول بالعدل وخلق القرآن" فهل يليق بعاقل منصف ان يتوب من القول بالعدل ولم يذكر ابن عساكر هذه الرواية في كتابه (تبيين) في الرواية عن (احمد بن الحسين المتكلم) "كان يورد الاسئلة على استاذيه" فَمن هما استاذاه، وهم يدعون انه كان تلميذ ابي علي الجبائي ولم اجد في نص معتزلي او محايد ما يؤيد ذلك حسب المتيسر من النصوص وفي النص نفسه "سمعت بعض اصحابتاة وفي رواية حجاج "قيل لي عنه انه كان معتزلياً، وفي رواية اخرى عن الحمراني قال عنه ابن عساكر (مجهول)، وفي ما روى الحسين بن محمد "سمعت، غيرواحد من ائمتنا" فالروايات كلها أما إحالة على التمريض كَقيل لي، وسمعت، وواحدة راويها (مجهول) حسب قول ابن عساكر.

وفي رواية (حجاج) "اقام على مذهب المعتوزلة اربعين سنة، وكان لهم إماماً" ولم تذكر نصوص المعتزلة ونصوص اخرى غير اشعرية ذلك، فمتى كان ابو الحسن الاشعري اماماً للمعتزلة؟

إن الروايات كانت مبنية على الرؤيا في المنامات فهل يعقل ان تبنى المعتقدات والافكار على المنامات.

ان إلباس هذه الروايات هذا اللباس وتدبيجها بهذه الديباجة قصد منها اظهار الاعتزال للناس بالفكر غير المرغوب فيه لكي يبعدوا المسلمين عنه،

وان يسبغوا على الاشعرية انها بنيت على فكر مقدس خالٍ من النواقص لتحبيبها الى النفوس وابعادها عن النقد فأقحموا اسم النبي على هذه المنامات "... رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال: يا علي إنصر المذاهب المروية عني فإنها الحق".

ان ما يلاقيه مؤرخ العصر الوسيط (القرون الوسطى) هو ما يلحق بعض الاسماء من عبارات مثل صلى الله عليه وسلم، وعليه السلام، ورضي الله عنه، ويرحمه الله، وقدس سره، وكأنه يبحث في الشريعة او الفقه فيكون لذكر مثل هذه العبارات ما يبررها، وليس في البحث التاريخي الذي يوجب ايراد الاسماء مجردة من مثل هذه العبارات.

كما ان هناك (التابو) اي المحرم الذي يسبغ على اغلب النصوص قدسية تمنع التقرب منها بالتحليل والنقد لأنها تناولت شخصيات مقدسة فوق البشر مع العلم هم انفسهم قالوا انهم بشر، وتعدى التقديس الى الذين كتبوا تلك النصوص أنهم كتبوها عن شخوص مقدسة. وقد قالوا: (لا اجتهاد في مورد النص) ليمنعوا تحليل النص ونقده.

المناظرة التي تقول انها جرت بين الاشعري واستاذه المعتزلي ابي علي الجبائي (سأل الاشعريُ ابا علي الجبائي فقال: "ايها الشيخ: ما قولك في ثلاثة: مؤمن، وكافر، وصبي

فقال (الجبائي): المؤمن من اهل الدرجات، والكافر من اهل الهلكات، والصبي من اهل النجاة.

فقال الشيخ (الاشعري) فإن اراد الصبي ان يرقي الى اهل الدرجات: هل يمكن قال الجبائي: لا! يقال له: ان المؤمن انما نال هذه الدرجة بالطاعة، وليس لك مثلها.

قال الشيخ (الاشعري): فإن قال التقصير ليس مني، فلو احييتني كنت عملت من الطاعات كعمل المؤمن.

قال الجبائي: يقول له الله: كنتُ اعامُ انك لو بقيت لعصيت ولعوقبت، فراعيت مصلحتك وأمتّك قبل ان تنتهي الى سن التكليف.

قال الشيخ (الاشعري): فلو قال الكافر: يا رب! غلمت حاله كما علمت حالي، فهلا راعيت مصلحتي مثله؟!

فانقطع الجبائي"[٣٧].

ورويت المناظرة بصورة اخرى تختلف بعض الاختلاف وكالاتي:

١- "سأل ابو الحسن الاشعري استاذه ابا علي الجبائي عن ثلاثة اخوة: احدهم كان مؤمناً براً تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً- فماتوا، فكيف حالهم؟

فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، واما الكافر ففي الدركات، واما الصغير فمِن اهل السلامة.

فقال الاشعري: ان أراد الصغير ان يذهب الى درجات الزاهد، هل يؤذن له؟

فقال الجبائي: لا، لانه يقال له: ان اخاك انما وصل الى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات.

فقال الاشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما ابقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنت اعلم انك بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك.

فقال الاشعري: فلو قال الاخ الكافر: يا اله العالمين: كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟!

فقال الجبائي للاشعري: انك مجنون!" [٣٨].

"فقال: لا: بل وقف حمار الشيخ في العقبة!"[٣٩].

اقول: هل كان الشيخ المعتزلي ابو علي الجبائي لا يستطيع ان يجيب ان الخالق انما خلق المخلوقات لاثبات قدرته وليس للثواب والعقاب، وهو مِن المعتزلة اهل العقل ومدركاته ومناظرة ابي الحسن الاشعري التي يقال انها جرت مع استاذه المعتزلي ابو علي الجبائي في كلتا روايتيها اخذت فكرتها ومعناها من افلاطون (ت٣٤٧ق،م)[٤٠]، بعد تغيير في الاسلوب فقط والاحتفاظ بالفكرة الاصلية كما هي ثم نسبت الى الاشعري حيث جاء "وعليه كل مَن كان مجرماً بإغتيال احد، أو خيانة مدينة واستعبادها، أو خيانة جيش أو اشتراك في شر آخر، عوقب عشرة اضعاف عما فعل، ومَن الناحية الأخرى، الذين فعلوا

الصالحات، وكانوا بررة اطهاراً نالوا جزاءهم على القياس نفسه، اما الذين ماتوا اطفالاً فقلما روي عنهم شيئاً يستحق الذكر"[٤١].

إن موقف ابن عساكر والسبكي وتثمينهما لرأي ابي الحسن الاشعري من المعتزلة الذين يمثلون ثورة العقل والفكر الاسلامي هو كما قال مؤرخ منهجي معاصر في موقف ابن الجوزي من السمعاني "ويصح القول كذلك ان موقف ابن الجوزي نابع من رغبتهِ في الثأر من السمعاني كونه احد العناصر الشافعية الاشعرية الذين يبغض مواقفهم ابن الجوزي بسبب مواقف الخلاف القائم بين الحنابلة والاشاعرة"[٤٢].

٢- "الشيخ ابو الحسن الاشعري، شيخ طريقة اهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعياً يبقى اثره الى يوم يقوم الناس لرب العالمين"[٤٣]"وهو صاحب الاصول، والقائم بنصرة مذهب السنة، واليه تنسب طائفة الاشعرية، وشهرته تغني عن الاطالة في تعريفه"[٤٤]. كيف يمكن ان نوازن بين عالِم له هذه الصفات الرنانة والشهرة الغنية عن التعريف مع هذا النص الذي اورده في احد اشهر كتبه "نَبَثَ في القرن الاول رجلان شغلا الناس بما لم يكونوا يعرفونه عن نبيهم وعن صحابته الاخيار رضوان الله عليهم اجمعين اشغلا بعض الصحابة، وشغلا كثيراً من التابعين، وشغلا بعض اهل الاقطار التي ارتفعت فيها راية الاسلام، وشغلا بعض اهل المدينة حاضرة بلاد الاسلام ومهبط الوحي... وكلا الرجلين كان دخيلاً في الاسلام فاسدا الطوبة .. اما احدهما فرجل نصراني من اهل العراق يقال له (سوسن) أظهر الاسلام وصحبة معيد بن عبد الله

الجهني البصري ونفث في صدره سمومه وعلمّه القول بالقدر، وزينه له، فكان معبد هذا اول من قال بالقدر في الملة المحمدية، وقدم مدينة الرسول فأفسد بها اناساً فإشتغل اهل زمانه بالتحذير منه... وما زال كذلك حتى أخذه عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ فقتله وصلبه بدمشق"(٤٥).

"وقد اخذ عن معبد الجهني غيلان بن مروان (او ابن مسلم) الدمشقي فقال: بالقدر خيره وشره انه من العبد، وقال في الامامة: انها تصلح في غير قريش، وان كل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقاً لها، وانها لا تثبت إلا باجماع الامة، وكانت نهاية امره ان اخذه هشام بن عبد الملك بن مروان فأمر بقطع يديه ورجليه"(٤٦).

"وأما الأخر فرجل يهودي احترقت احشاؤه من نصر الله تعالى المؤمنين فاصطنع الاسلام، وهو يضمر أن يكيد له، وذلك هو عبد الله بن وهب بن سبأ المعروف بإبن السوداء... وتتلخص شرور هذا الرجل في انه احدث في هذه الامة ثلاثة امور كان لكل واحد منها الاثر البالغ في تفريق كلمتها وتشعث امرها: الامر الاول كان هو اول من احدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه بالإمامة، فعلي وصي الرسول وخليفته على امته من بعدهِ بالنص، الامر الثاني كان هو اول من قال برجعة على الى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الثالث كان هو أول مَن احدث القول بأن علياً لم يقتل وانه لا يزال حياً وإنه يسكن السحاب"(٤٧).

فهل يعقل ان اصحاب محمد وفيهم ابي بكر، وعمر وعلي ومعاذ بن جبل وبقية الصحابة وتابعيهم ومنهم ابو حنيفة، والشافعي، ومالك، واحمد بن

حنبل، وجعفر الصادق، والحسن البصري وغيرهم ممن تفقهوا وأسسوا المذاهب والفرق يلعب بأفكارهم ومعتقداتهم، ويشعث امة الاسلام ويلعب بمقدراتها: بل واهم ما في هذه المقدرات وهو المعتقد. رجلان هذه صفاتهما ومكانتهما العلمية، والاجتماعية، والدينية.

الخلاصة

من خلال النصوص والشواهد التي وردت في البحث وتحليلها استخلصنا النتائج الآتية:

١- ان المصادر التي تناولت ابا الحسن الاشعري والاشعرية وكانت تكيل الثناء والمدح هي شافعية اشعرية.
٢- ان كونها شافعية اشعرية فقد كانت متحيزة، ومبالغة، وتضيف اليه والى مذهبه ما ليس فيهما.
٣- ان الاشعري اهتدى الى مذهبه عن طريق الرؤيا والمنامات التي يقول انه التقى فيها بمقدس لإسباغ القبول لها لدى الأخرين.
٤- كذلك كان تركه للإعتزال كما يزعمون قد تمّ بنفس الطريقة مِن رؤيا ومنامات أُحيل فيها الأمر الى التمريض مثل، قيل، وسمعت، ورويَّ.
٥- ان المعتقدات والمذاهب كما يبدو في اصولها وفروعها كانت في تحبيبها الى الناس وجذب جماعة اليها من قبل الداعين لها وأتباعها ما يستوجب إعلاء شأنها وتقليل مكانة المعارضين دون سند حقيقي او دليل عقلي.

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر

١-ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

٢-الاشعري، ابي الحسن علي بن اسماعيل(ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٥٠م).

٣-افلاطون(ت٣٤٧ق.م)، جمهورية افلاطون، ترجمة: حنا خباز (بغداد: مطبعة بابل، د.ت).

٤-بن تغري بردي، يوسف بن عبد الله(٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، د.ت)

٥-ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (بغداد: الدار الوطنية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٦-الخطيب البغدادي، احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م).

٧-ابن خلكان، احمد بن محمد(٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

٨-السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، (القاهرة: البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦١م)

٩-السمعاني، عبد الكريم بن محمود بن منصور(ت٥٦٢هـ/١١٦٢م)، الانساب، وضع حواشيه محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار المكتبة العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

١٠- الشيرازي، ابراهيم بن علي (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)

١١- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت٥٧٤هـ/١١٧٥م)، تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

١٢- ابن النديم، محمد بن ابي يعقوب(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، (بيروت: مكتبة خياط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)

ثانياً: المراجع

١-بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الاسلاميين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

٢-العزاوي، داود سلمان عبد علي، مبادئ علم الاخلاق (بغداد: مكتب إيناس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)

٣-كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (بيروت: دار احياء الكتب، د.ت).

٤-النقيب، مرتضى حسن، اصول النقد والتحليل في العمل الكتابي (بغداد: دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)

٥-البياتي، نور سعد محسن، تطور المذهب الاشعري في خرسان، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد- كلية الاداب).

الهوامش :

(١) عن سيرته، انظر: احمد بن علي الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد او مدينة السلام، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م)، ج١١، ص٣٤٦؛ عبد الكريم بن محمود بن منصور السمعاني(ت٥٦٢هـ/١١٦٢م)، الانساب، وضع حواشيه محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار المكتبة العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج١، ص٢٦٧؛ علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر(ت٥٧٤هـ/١١٧٥م)، تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٣٤؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (بغداد: الدار الوطنية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج٦، صص٣٣٢-٣٣٣؛ عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، (القاهرة: البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦١م)، ج٣، ص٣٤٧.

(٢) محمد بن الحسن بن فورك الاستاذ ابو بكر الانصاري الاصبهاني الامام الجليل، والحبر الذي لا يجارى فقهاً، واصولاً، وكلاماً، ونفوذاً مع مهابة وجلالة وورع، انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، صص١٢٧-١٣٠.

(٣) ستأتي ترجمته.

(٤) ابن عساكر، تبيين، ص٣٥.

(٥) هو إمام عصره في الفتوى والتدريس اخذ الفقه عن ابي العباس بن سريج وبرع فيه، وانتهت اليه الرئاسة في العراق بعده، صنف كتباً كثيرة، القام ببغداد مدة، رحل الى مصر وتوفي بها سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م)، انظر: احمد بن محمد بن خلكان(٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ج١، ص٢٧.

(٦) ابو يحيى، زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري، الامام الحافظ محدث البصرة له كتاب اختلاف الفقهاء وغيرهُ توفي سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)، انظر: ابراهيم بن علي الشيرازي(٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص١١٤.

(٧) هو الفضل بن الحباب بن محمد ابو خليفة الجمحي كان رحل الآفاق في زمانه، كان محدثاً ثقة راوية للأخبار توفي سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م)، انظر: يوسف بن تغري بردي (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: المؤسسة المصرية للكتاب، د.ت)، ج٣، ص١٩٣.

(٨) كان امامياً... وقد جرت له مناظرة مع ابي الحسن الاشعري الزمه الحجة حتى بان له خطأ فيما كان فيه من مذاهب الامامية فتركها...، انظر: ابن عساكر، تبيين، صص١٢٧-١٢٨.

(٩) هو ابو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي، شيخ المتصوفة، اصله من قرية الشبلية وكان مولده بسامراء، وكان فقيهاً عارفاً ووفاته سنة

(٣٥٣هـ/٩٦٤م)، وقال الشعر وله حكم والفاظ وتمكن، أنظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، صص٣٨٩-٣٩٦.

(١٠) علي بن مهدي ابو الحسن الطبري تلميذ الشيخ ابي الحسن الاشعري صحبه بالبصرة وأخذ عنه وكان من المبرزين في علم الكلام والقوامين بتحقيقه، وله كتاب تأويل الاحاديث، ولم ارَ من ارخ وفاته، انظر: السبكي، الشافعية الكبرى، ج٣، صص٤٦٦-٤٦٧، ولكن مؤرخ معاصر ذكر انه وفاته في حدود سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (بيروت: دار احياء الكتب، د.ت)، ج٧، ص٣٣٤.

(١١) ابو محمد بن الطيب بن محمد بن ابو بكر القاضي المعروف بالباقلاني وهو من اهل البصرة، وكان ابو بكر الباقلاني بطبيعة الحال متكلماً على مذهب الاشعري، وكانت له = =مكانة رفيعة في علم الكلام توفي في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٣٧٩.

(١٢) السبكي، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٤٧.؛ ابن عساكر، تبيين، ص٤٢

(١٣) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج١، ص٤٩٢.

(١٤) محمد بن ابي يعقوب ابن النديم(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، (بيروت: مكتبة خياط، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص٢٧١.

(١٥) بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٩٣.

(١٦) ابن عساكر، تبيين، صص٣٨-٣٩، بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٩٣.

(١٧) ابن عساكر، تبيين، صص٣٩-٤٠، بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٩٤.

([١٨]) ابن عساكر، تبيين، ص٤٠.

([١٩]) ابن عساكر، تبيين، ص٤٠، بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٩٤.

([٢٠]) بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٩٤.

([٢١]) ابن عساكر، تبيين، ص٤٠.

([٢٢]) ابن عساكر، تبيين، ص٤١.

([٢٣]) ابن عساكر، تبيين، ص٤٢.

([٢٤]) ابن عساكر، تبيين، ص٤٣.

([٢٥]) تقدمت ترجمته.

([٢٦]) ابن عساكر، تبيين، ص١٣٥.

([٢٧]) طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، صص٣٦٠-٣٦١.

([٢٨])نور سعد محسن البياتي، تطور المذهب الاشعري في خرسان، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد- كلية الاداب)، ص٤٠.

([٢٩]) انظر: ابن عساكر، تبيين، صص١٢٨-١٣٤؛ السبكي، طبقات، صص٣٦٠-٣٦١.

([٣٠]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٤٧.

([٣١]) انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٨٤، السبكي، الطبقات الشافعية، ج٢، ص٢٤٥.

([٣٢]) انظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٨١، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، صص٤٤٦-٤٤٧، ابن عساكر، تبيين، ص٣٥.

([٣٣]) انظر: ابن عساكر، تبيين، ص١٣٥، البياتي، تطور، ص٥٨.

([٣٤]) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٤٧.

([٣٥]) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٣٣.

([٣٦]) بدوي، مذاهب، ج١، صص٤٩٧-٤٩٨.

([٣٧]) انظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج٢،ص٢٥٠-٢٥١؛ بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٩٨-٤٩٩.

([٣٨]) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص ٣٩٨.

([٣٩]) هذه الزيادة وردت في بعض النسخ، وربما كانت مقحمة، انظر: ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٣٩٨، بدوي، مذاهب، ج١، ص٤٤٩.

([٤٠]) انظر: داود سلمان عبد علي العزاوي، مبادئ علم الاخلاق (بغداد: مكتب إيناس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، صص١٠-١١.

([٤١]) انظر: افلاطون(ت٣٤٧ق.م)، جمهورية افلاطون، ترجمة: حنا خباز (بغداد: مطبعة بابل، د.ت)، ص٢٨٤.

([٤٢]) مرتضى حسن النقيب، اصول النقد والتحليل في العمل الكتابي (بغداد: دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص١١٠.

([٤٣]) السبكي، طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٤٧.

([٤٤]) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٨٤.

([٤٥]) انظر: ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م)، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٥٠م)، ج١، ص١٠-١١؛ علي بن ابي الكرم محمد بن محمد ابن الاثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ج٤، ص١٨٩.

([٤٦]) الاشعري، مقالات، ص١٠-١١.

([٤٧]) الاشعري، مقالات، ص١١.